الجمهوريّة التّونسيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي إدارة البحث العلمي

مركز بحوث ودراسات حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة.

مركز البحوث و الدراسات في حوار الحضارات و الأديان المقارنة بسوسة
Centre de Recherches et des Etudes pour le Dialogue des Civilisations et des Religions Comparées Sousse

برنامج اليوم الدراسي

"العرب والقوي الدولية المؤثرة"

تنظيم مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة

التاريخ: يوم 19 ماي 2022.

المنسق: أ. عفيفة حمزة

تأطير عام

يواجه العرب منذ عقود تحديات كبرى تتمثل في الفساد والطائفية والتطرف والإرهاب كما يواجه حالة من عدم الاستقرار السياسي والتخلف الاقتصادي وصراعات بين دولة ودولة عربية أخرى وحتى داخل نفس الدولة. وتعود هذه الحالة لأسباب ذاتية ترتبط أساسا بنظام الحكم الاستبدادي مما جعلها تصاب بحالة من الجمود السياسي وأخرى مرتبطة بالتوترات الناجمة عن التنوع العرقي والديني والمذهبي كما يعود إلى تنازع الدول العربية فيما بينها على المصالح الاقتصادية والقضايا الجغرافية، كذلك لا أحد ينكر دور التدخلات الخارجية ومكر المستعمر في تأبيد هذا الوضع بغاية فرض نفوذهم على العرب والهيمنة عليهم.

تشكل المنطقة العربية منذ عقود منطقة مركزية في العلاقات الدولية بين الشرق والغرب وتتمتع بأهمية بالغة في التوازنات الدولية والتنافس حولها إذ أسهمت عديد من العوامل في جعلها موضع اهتمام دولي بالغ.

للمنطقة العربية موقع استراتيجي تمر بها خطوط نقل الطاقة والتجارة والمواصلات البحرية والجوية لوجود أهم المضايق البحرية فيها مثل مضيق باب المندب ومضيق جبل طارق ومضيق هرمز وقناة السويس كما تطل المنطقة على الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي مع ما تتمتع به هذه المنطقة من موارد طبيعية ومصدر هام للطاقة

ومخزن نفطي كبير. وهذا ما جعل المنطقة العربية منطقة جاذبة للقوى الأجنبية التي تسعى للتأثير والهيمنة عليها لضمان مصالحها وحماية أمنها.

ومع فشل الثورات العربية، في تحقيق أهدافها تزايدت التحديات والصراعات داخل الدول العربية وفيما بينها وازداد انتشار الإرهاب، خضعت هذه الدول لهيمنة مصالح القوى الخارجية المؤثرة في المنطقة التي سعت إلى "تطوير استراتيجياتها لمجابهة الأحداث والمخاطر بالمنطقة بما يضمن تحقيق نفوذها وحماية مصالحها المتضادة" واستغلت الوضع السياسي المتأزم للدول العربية للضغط عليها من أجل تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية... لصالحها. كما سعت بعض الدول مثل روسيا والصين وتركيا وإيران إلى تكثيف أنشطتها في عدد من الدول الأكثر ضعفا في المنطقة، وأعادت الحرب الروسية الأوكرانية إلى الواجهة مسألة التوازنات الدولية والصراع من أجل توسيع نفوذ التأثير مثل روسيا والصين أو المحافظة على نفوذها مثل الولايات المتحدة الأمريكية رغم تراجع حضورها في المنطقة.

في هذا السياق تندرج مبادرة مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة بتنظيم يوم دراسي بعنوان: "العرب والقوى الدولية المؤثرة" يوم الخميس 19 ماي 2022 بقاعة المحاضرات بالمركز، يشرف عليه السيد المدير العام الدكتور محمّد الشتيوي، وينسق أعماله : الأستاذة عفيفة حمزة.

البرنامج:

كلمة تمهيدية لمنسق اليوم الدراسي الأستاذة عفيفة حمزة (5دق)

- د. مصدق الجليدي: العلاقات الصينية- المغاربية: هل تكون طريق الحرير طريقا للتنمية والتحرير؟(20دق)

- د. منجي مرزوق: التداعيات الجيواستراتيجية للانتقال الطاقي(20دق)

- د. عصام عبد الشافي: السياسة الامريكية تجاه المنطقة العربية في ظل إدارة بايدن (20دق)

- د. عمر عبد اللاوي: الفوضى الخلاقة ونشأة الشرق الأوسط الكبير: جدلية الديني والسياسي في الفكر الاستراتيجي الامريكي (20دق)

- دكتور محمد الفاضل اللافي: العرب والمسلمون في ظل الحرب الروسية- الأوكرانية: وجهة نظر حضارية .

- تعقيب عام لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الشتيوي: 10 دق

- نقاش لمدة نصف ساعة

العلاقات الصينية- المغاربية

طريق الحرير: هل يكون طريق تنمية وتحرير؟

د. مصدق الجليدي

ملخص

طريق الحرير الجديدة يعرف المشروع رسميا باسم "الحزام والطريق"(الحزام الاقتصادي لطريق الحرير وطريق الحرير البحري للقرن الواحد والعشرين) وهو طريق يمر عبر 65 دولة، وهو مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير القديم، ويهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية.

سمي طريق الحرير بطريق الحرير لا لكونه طريقا من حرير أي طريقا ممهدة لسالكيها، بل نسبة لإحدى أنواع البضاعة التي كانت تحمل عبرها من الصين إلى أوروبا والشرق الأقصى. فقد كان الحرير إحدى الصادرات الرئيسية للصين في عهد سلالة الهان (سنة 206 ق.م-220م).

ارتبطت الصين قد يما بدول المغرب العربي بطريق الحرير الذي شكل شريان حياة المنطقة الممتدة من شاطئ بحر الأبيض المتوسط حتى بحر الصين، وارتبطت بهذه المنطقة في الخمسينات من القرن الماضي من خلال مساندة حركات التحرر والاستقلال في دولها التي أيدت مبدأ "صين واحدة". واليوم شهدت هذه العلاقات تطورا ملحوظا.

وتستجيب الصين بإمكانيات مشروعها الضخم طريق الحرير إلى احتياجات بلدان المغرب العربي التنموية، كما أن لها في المقابل جملة من المنافع تجنيها من علاقاتها الاقتصادية بهذه البلدان. ولكن **هل يمثل طريق الحرير طريقا للتنمية والتحرير للبلدان المغاربية؟**

نعم ولا. نعم نظرا للتحفيزات المغرية التي تقدمها الصين دون شروط مسبقة مجحفة، ولكن لابد من:

- ضرورة توفر ضمانات لحد أدنى من تكافؤ التبادل التجاري بين البلدان المغاربية والصين.
- التنمية حرية أو لا تكون والصين لا تهتم بمسألة الديمقراطية ولا بمسألة الحوكمة.

وما تحتاجه الشعوب العربية والشعوب المغاربية هو أحسن ما في العرضين الغربي والصيني معا: أي المعاملة المحترمة والعادلة في بعديها المادي والمعنوي. التنمية والحرية اللذين لا ينفصلان في ملامح الإنسان الجديد للقرن الواحد والعشرين.

فما الحل؟ الحل الذي نراه يقع في أمور ثلاثة:

- أولا: تغيير الذات بالكفاح الجماهيري من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية والسيادة الوطنية مع الاتجاه للعمل والإبداع والإنتاج.

- ثانيا: التكامل الاقتصادي المغاربي بعد تذليل العقبات السياسية وإن بالحد الأدنى في البداية. وإن أكبر عقبتين يجب على شعوب المغرب العربي اقتحامهما هي عقبة التطبيع مع الصهيونية وعقبة الاستبداد السياسي.

ثالثا: تنويع الشراكات الاستراتيجية لبلداننا المغاربية وتبني مفهوم نظام عالمي تعددي ملائم لهذا الخيار الديبلوماسي الاقتصادي. بحيث لا تكون التعددية التي نسلم بها مجرد تعددية تجاورية تستحوذ فيها كل قوة عالمية على قسم من العالم وثرواته ودوله، فهذه تعددية لا تحررنا من التبعية، حيث لا نختار فيها من سنكون في نصيبه من الهيمنة علينا، وإنما تعددية عميقة تفاعلية تشاركية ومفتوحة.

العلاقات الصينية- المغاربية

طريق الحرير: هل يكون طريق تنمية وتحرير؟

د. مصدّق الجليدي

تمهيد:

يطرح موضوع العلاقات الصينية- المغاربية لأجل النظر في هذه العلاقات انطلاقا من وضعها الحالي ومن تاريخها القريب والبعيد، ولكن يطرح أيضا انطلاقا من واقع العلاقات الصينية بالعالم العربي وبالعالم الإسلامي ككل. وخلفية ذلك هو خريطة الارتباطات التاريخية والمعاصرة للعالم العربي والإسلامي ببقية القوى الاقتصادية والسياسية النافذة عالميا. هذه الخريطة التي تحتل فيها الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أو الغرب عموما مساحة معتبرة ووازنة، لا بل وراجحة على شبكة العلاقات مع بقية أقطاب العالم مثل الصين وروسيا والقوى الإقليمية مثل إيران وتركيا. يعود ذلك في تقديرنا لسببين رئيسيين:

- سبب تاريخي: ويتمثل في واقع مفروض من القوى الغربية على العالم العربي والعالم الإسلامي، واقع الهيمنة الرأسمالية والاستعمار الاحتلالي والإمبريالية.
- سبب إيديولوجي مغذى جزئيا من بروباغندا رأسمالوية: أي معاداة العالم الإسلامي للشيوعية (الاتحاد السوفيالتي سابقا، روسيا حاليا، والصين) والعداوة القائمة بين قسمه الأعظم الذي هو القسم المذهبي السني مع قسمه الآخر الشيعي في إيران خاصة، مثلما هو الحال لعلاقة أغلب بلدان الخليج بإيران.

لكن هذه الخارطة في الحقيقة أكثر تعقيدا من هذا الخطاطة المبسطة، لأن بعض ممثلي العالم الرأسمالي الامبريالي متحالف مع المنافسين المسلمين للسنة في العالم الإسلامي، أقصد بذلك التحالف الفرنسي الشيعي ضد الإسلام السياسي في مصر وفي المغرب العربي، وبصفة أوكد ضد القوة الإقليمية السنية الصاعدة تركيا. ينضاف إلى ذلك التطبيع الفرنسي مع روسيا بوتين في خرق واضح للتقسيم الكلاسيكي: عالم رأسمالي وعالم يعرف تقليديا بالاشتراكية أو منخرط في رأسمالية الدولة. إذ قد يرجح هنا عامل الانتماء القاري والمصالح الاقتصادية على باقي العوامل.

غير أن هنالك حدثين حصلا في الفترة القريبة قد أحدثا حلحلة في هذه الوضعية الجيو-استراتيجية ونقلا جزئيا وحذرا بعض الشيء لإحداثياتها.

حدث قريب جدا وراهن وحدث أقدم بحوالي عشر سنوات.

الحدث القريب هو الحرب الروسية- الأوكرانية، أما الحدث الذي مرت عليه ما يزيد عن عشر سنوات فهو الإعلان الصيني عام 2013 عن مبادرة "الحزام والطريق" الذي يشمل ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا.

لنبدأ بالحدث القريب ثم لنعمق النظر في الحدث الأكثر أهمية استراتيجية وهو **انعقاد قمة "طرق الحرير الجديدة"** يوم الجمعة 26 أفريل 2019، بناء على إعلان (2013) الخاص بمبادرة "الحزام والطريق".

قال عمر كريم الباحث الزائر في معهد رويال يونايتد لدراسات الدفاع والأمن بلندن، إن "الدول الإسلامية يتسارع جنوحها بعيدا عن الغرب من الناحيتين الجيوسياسية والاقتصادية". وأوضح كريم أن "احتشاد الغرب عموما في الآونة الأخيرة لدعم أوكرانيا لم يكن وقعه طيبا على كثير من البلدان الإسلامية التي استحضرت تاريخها القريب مع إعراض الغرب عن دعمها، لا سيما أن قرب العهد بهذا الإعراض صعّب على هذه الدول نسيانه"[1]. يقصد بذلك مثلا سحب الولايات المتحدة الأمريكية أنظمة دفاع صاروخية من السعودية العام الماضي، بما دفع بعض دول منظمة التعاون الإسلامي إلى مراجعة حالتها الأمنية والتحالفات المتعلقة بها.

ويقول طلحة عبد الرزاق، الأكاديمي في جامعة إكستر، إن دول منظمة التعاون الإسلامي أصبحت "ترى الصين قوة صاعدة ستتمكن في النهاية من منازعة الهيمنة الغربية، وليس في المجال الاقتصادي فحسب، وإنما [أيضا] في المجال السياسي وربما العسكري"[2].

أما الحدث ذو القيمة الاستراتيجية العالمية الذي يفرض الاهتمام الحالي بالعلاقات الصينية- العربية والإسلامية عموما وبالعلاقات الصينية- المغاربية على وجه الخصوص فهو كما أشرنا إليه: فهو الإعلان الصيني الرسمي عن مشروع "الحزام والطريق" سنة 2013. وهو ما سنتوقف عنده قليلا لأنه يمنحنا رؤية أوضح للوضع الجيو-استراتيجي العالمي الجديد وانعكاسه على أوضاعنا الإقليمية.

أولا- الصين تتجه إلى العالم عبر طريق الحرير الجديد:

---

[1] عربي بوست: لماذا أخذت دول العالم الإسلامي في الجنوح نحو الصين أكثر والابتعاد عن تحالفها التقليدي مع أمريكا؟ على موقع:

https://arabicpost.net/%d8%aa%d8%ad%d9%84%d9%8a%d9%84%d8%a7%d8%aa/2022/04/02/%d8%af%d9%88%d9%84-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%a7%d9%84%d9%85-/%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d9%84%d8%a7%d9%85%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%b5%d9%8a%d9%86

[2] نفسه.

افتتح الرئيس الصيني شي جين-بينغ Xí Jìnpíng قمة "طرق الحرير الجديدة" يوم الجمعة 26 أفريل 2019 بمشاركة 150 بلدا، من أجل التسويق للمبادرة التي ستجعل من الصين محورا للعلاقات الاقتصادية العالمية. إنها دون مبالغة إعلان رسمي لميلاد نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب.

1- مشروع "الحزام والطريق" الصيني:

ويعرف المشروع رسميا باسم "الحزام والطريق"(الحزام الاقتصادي لطريق الحرير وطريق الحرير البحري للقرن الواحد والعشرين) وهو طريق يمر عبر 65 دولة، وهو مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير القديم، ويهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية، ويشمل بناء مرافئ وطرقات وسكك حديدية ومناطق صناعية. إنه مشروع مارشال صيني عملاق يتجاوز بكثير مشروع مارشال الأمريكي تلك الخطة الاقتصادية التي أُطلقت بمبادرة من وزير الخارجية الأميركي الأسبق جورج مارشال، في 5 يونيو/حزيران 1947 من أجل مساعدة البلدان الأوروبية على إعادة إعمار ما دمرته الحرب العالمية الثانية[3]. فإذا كان مشروع مارشال قد انخرطت فيه سبع عشرة دولة أوروبية ووزعت فيه إدارة التعاون الاقتصادي الأميركية أكثر من 13 مليار دولار خلال السنوات الأربع التي استغرقها تنفيذ المشروع، فإن مشروع "الحزام والطريق" مشروع صيني عملاق يغطي 66 دولة في ثلاث قارات: آسيا وأوروبا وإفريقيا بمشاركة إلى حد الآن من 126 دولة و29 منظمة دولية وقعت اتفاقات تعاون مع بكين، لكن هذه الاتفاقات لا تنص كلها على انخراط كامل في المشروع الصيني، وإنما يقترح بعضها التعاون مع بكين في دولة ثالثة أو في مجال استثمار معين[4]. ويتضمن المشروع فرعين رئيسين: البري "حزام طريق الحرير الاقتصادي"، والبحري "طريق الحرير البحري".

– يمتد طريق الحرير البحري من الساحل الصيني عبر سنغافورة والهند باتجاه البحر المتوسط، أما الفرع البري من المبادرة فيشمل ست ممرات هي:

1- الجسر البري الأوراسي الجديد الذي يمتد من غربي الصين إلى روسيا الغربية.

---

[3] الجزيرة

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia-economy/2015/6/29/%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D9%84

[4] المصدر : الجزيرة

https://www.aljazeera.net/ebusiness/2019/4/27/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D8%B7%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D8%A9

2- ممر الصين – مونغوليا – روسيا الذي يمتد من شمالي الصين إلى الشرق الروسي.

3- ممر الصين – آسيا الوسطى – آسيا الغربية الذي يمتد من غربي الصين إلى تركيا.

4- ممر الصين – شبه جزيرة الهند الصينية الذي يمتد من جنوبي الصين إلى سنغافورة.

5- ممر الصين – باكستان الذي يمتد من جنوب غربي الصين إلى باكستان.

6- ممر بنغلاديش – الصين – الهند – ميانمار الذي يمتد من جنوبي الصين إلى الهند.

أما عن حجم الإنفاق على هذا المشروع فتفيد بعض المصادر أنه منذ إطلاق الرئيس الصيني لهذا المشروع، استثمرت بلاده ثمانين مليار يورو في مشاريع متعددة، كما قدمت المصارف قروضا بقيمة تتراوح بين 175 و265 مليار يورو. أي ما يفوق إلى حد الآن سبعة أضعاف الإنفاق الأمريكي على مشروع مارشال باعتبار أن جزءا من الإنفاق الأمريكي لم يأت في شكل هبات[5].

– روسيا وباكستان أبرز الدول الداعمة للمشروع. ويدعم المشروعَ أيضا بريطانيا وتركيا ودول صغيرة مثل اليونان التي اعتبر وزير خارجيتها أنه يمثل قمة الانفتاح الاقتصادي في الوقت الذي تلجأ فيه الكثير من دول العالم إلى الانغلاق على نفسها اقتصاديا وسياسيا.

2- لمحة تاريخية مختصرة عن "طريق الحرير":

سمي طريق الحرير بطريق الحرير لا لكونه طريقا من حرير أي طريقا ممهدة لسالكيها، بل نسبة لإحدى أنواع البضاعة التي كانت تحمل عبرها من الصين إلى أوروبا والشرق الأقصى. فقد كان الحرير إحدى الصادرات الرئيسية للصين في عهد سلالة الهان (سنة 206 ق.م- 220م). ومع أن تجارة الحرير مثلت أحد الدوافع الأولى لإقامة الطرق التجارية عبر آسيا الوسطى، إلا أن الحرير لم يمثل سوى واحد من المنتوجات العديدة التي كانت تنقل بين الشرق والغرب ومنها الأنسجة والتوابل والبذور والخضار والفواكه وجلود الحيوانات والأدوات والصناعات الخشبية والمعدنية والقطع الدينية والفنية والأحجار الكريمة وغيرها...وطريق الحرير ليست طريقا واحدة بل هي شبكة من الطرقات البحرية والبرية الممتدة على أكثر من 15 ألف كلم، التي اشتهرت أيضا بطرق التوابل بحكم أن التوابل والبهارات كانت من بين البضائع التجارية المحمولة عليها.

والرجل الذي ينسب إليه عادة فضل إقامة طريق الحرير هو الجنرال زانغ كيان الذي فتح الطريق الأولى بين الصين والغرب في القرن الثاني قبل الميلاد.

---

[5] نفسه.

وقد تولّد عن طريق الحرير تراث عمراني كبير وعملية تفاعل ثقافي هائلة، بين الأديان والمذاهب والثقافات والحضارات والفنون والمعارف والتقنيات والتنظيمات والأذواق وغيرها[6].

ثانيا- العلاقات الصينية- المغاربية:

ارتبطت الصين قديما بدول المغرب العربي بطريق الحرير الذي شكل شريان حياة المنطقة الممتدة من شاطئ بحر الأبيض المتوسط حتى بحر الصين، وارتبطت بهذه المنطقة في الخمسينات من القرن الماضي من خلال مساندة حركات التحرر والاستقلال في دولها التي أيّدت مبدأ "صين واحدة". وصوتت لصالح انضمام الصين إلى منظمة الأمم المتحدة بما فيها مجلس الأمن بدل تايوان سنة 1971.

واليوم شهدت هذه العلاقات تطورا ملحوظا يعود إلى عاملين جديدين إضافة إلى العوامل التاريخية المشار إليها:

- نجاح الإصلاحات الاقتصادية في امبراطورية الوسط وطفرة اقتصادية صينية كبرى بسبب وجود فائض إنتاج معتبر واعتماد مقاربة براغماتية في علاقاتها ومعاملاتها مع دول العالم، مقاربة تجد قبولا حسنا البلدان الإسلامية عموما والمغاربية خصوصا، فهي لا تقحم العامل الإيديولوجي في معاملاتها مع البلدان ولا تتدخل في شؤونها الداخلية، ولا تسعى لفرض نموذج ثقافي وسياسي معين ولا حتى نمط اقتصادي عليهم، بل على العكس من ذلك تماما تتبنى رؤية تعددية لإدارة شؤون العالم وتقبل بالتعاون بصيغة حالة بحالة مع اقتصاديات البلدان، وتعمل على التكيف تجاريا مع ثقافات شعوب البلدان الشريكة لها وأممها، وتوفر لها عروضا اقتصادية وسلعا وبضائع تتطابق تماما مع احتياجاتها وعاداتها وأذواقها وثقافاتها. لا يقلق أرباب مصانعها حتى العابرة للقارات منها أن يوفروا مثلا أنواع الملابس المحتشمة التي يرغب فيها كثير من نساء العالم الإسلامي وسجادات الصلاة ومسبحات الذكر، لا بل انخرطت الصين في تشييد ثالث أكبر مسجد في العالم في الجزائر العاصمة. وهي تقدم إلى جانب ذلك عروضا كبيرة وعملاقة لإنشاء البنى التحتية التي تفتقر لها البلدان النامية والصناعات الإلكترونية الدقيقة وطائفة تكاد لا تحصى من الخدمات والصناعات والمنشآت. كما أنها تستخدم أساليب مرنة في إقناع البلدان بقبول عروضها الاقتصادية، فتهدي لها مستشفيات ومدارس لتعليم اللغة الصينية ومساعدات طبية وغيرها. إنها صيغة من صيغ القوة الناعمة soft power ذات مقاربة براغماتية تعتمد ديبلوماسية المرونة والإنصات والعمل على التأثير بعيد المدى، وهي بعيدة كل البعد عن أسلوب التدخل العنجهي الاستعماري في سياسات البلدان وشؤونها الداخلية[7]، أي خلافا لما تعودت عليه بلدان

---

[6] موقع اليونسكو: انظر في https://ar.unesco.org/silkroad/lmht-n-trq-alhryr

[7] Mohamed Troudi, http://www.politique-actu.com/dossier/strategie-arabe-chine-mohamed-troudi-chercheur/364302/

المغرب العربي مع المحتل الفرنسي القديم الذي يتدخل بشكل وقح في كل كبيرة وصغيرة في شؤون بلد استعمره سابقا مثل تونس، بما في ذلك في شؤونها الدينية والتشريعية والثقافية فضلا عن شؤونها السياسية والأمنية والاقتصادية.

- ومن هنا نصل إلى العامل الثاني للتقارب الصيني- المغاربي وهو رغبة هذه البلدان في تنويع شراكاتها الاقتصادية وتخفيف قبضة المستعمر الفرنسي على رقبة سيادتها الوطنية أو التخلص الكامل منها مثلما هو الحال مع الشقيقة الجزائر التي يساعدها في ذلك ثروتها المعتبرة من الطاقة. ولذلك ليس من الصدفة أن نجد العدد الأعلى من العمال الصينيين في بلدان المغرب العربي هو عددهم في الجزائر الذي يفوق ألف مرة عددهم في تونس وأكثر من 250 مرة عددهم في المغرب، بحسب إحصائيات أجريت سنة 2016 (انظر الجدول أدناه)[8]. لكن الجزائر أكثر تشددا مع ذلك من المغرب في القبول بشروط الاستثمار الصيني المباشر في بلدها بحكم سياساتها الوطنية الخاصة بها التي لا تجعلها تقبل بالمنظور الصيني لمسألة المناطق الاقتصادية الخاصة.

الدولة	عدد العمال	الرتبة حسب الاهمية
الجزائر	232518	1
المغرب	864	2
ليبيا	249	3
تونس	205	4

1- المنافع المتبادلة في العلاقات الصينية- المغاربية:

تستجيب الصين بإمكانيات مشروعها الضخم طريق الحرير إلى احتياجات بلدان المغرب العربي التنموية وتجد لدى هذه البلدان ثلاث منافع على الأقل:

- سوق استهلاكي معتبر توفره منطقة المغرب العربي والذي "يتوافق فيه الإنتاج الصيني مع القدرة الشرائية البسيطة للمستهلك المغاربي"[9]. فالتوجه الصيني إلى المغرب العربي والدول العربية عموما حتمية تقتضيها التحديات الاقتصادية المطروحة على صانع القرار في بكين فالاقتصاد الصيني يواجه تحديات بنيوية ناجمة عن التنمية الاقتصادية ولا يمكن التغلب على تلك التحديات بمجرد إجراءات إصلاحية مالية وهيكلية كما تفعل محافظة البنك المركزي الروسي مثلا في مواجهة الصعوبات الاقتصادية لروسيا، وإنما لا مفر من

[8] Annuaire statistique de la chine, 2017, http://www.stats.gov.cut/tjsj/ndj

[9] طيب جميلة، **العلاقات الصينية المغاربية بعد الحرب الباردة: العلاقات الصينية الجزائرية نموذجا**، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس، العدد الأول، ISSN: 2353- 0294, EISNN: 2600- 6480، 13، 06، 2018، ص. 4.

عثور الصينيين على منافذ لنقل ثقلها الاقتصادي إلى الخارج بالاستثمار وفتح أسواق في المناطق المحيطة ومنها الوطن العربي الذي يزداد فيه الطلب بسبب النمو السكاني وتنوع نمط الاستهلاك وافتقار البلدان العربية إلى البنى التحتية العملاقة وحاجتها للاستثمار فيها. إضافة إلى هذا تراكم لدى الصين فائض في الإنتاج وفي رصيد العملة الأجنبية بسبب ضعف الطلب المحلي وزيادة النمو الاقتصادي بسبب سياسات الدولة وتدفق الاستثمار الأجنبي إلى الصين[10].

- أما المنفعة الثانية التي تحصل عليها الصين من علاقاتها الاقتصادية بالمغرب العربي فهي تقع ضمن الاستجابة ولو الجزئية لحاجاتها إلى الطاقة والمعادن. إذ تصدر ثلاث دول مغاربية (الجزائر، ليبيا وموريطانيا) الخامات والمعادن والوقود باتجاه الصين بما يمثل 90 بالمائة من الصادرات المغاربية إلى الصين (محروقات بالنسبة للجزائر وليبيا، والحديد والنحاس بالنسبة لموريطانيا)، أما المغرب وتونس فلم تصَدِّرا كثيرا للصين في هذه الفترة نظرا للوزن الضئيل لمثل هذه الصادرات من المواد الأولية[11].

- أخيرا، تأمل الصين في جني منفعة سياسية من توطيد علاقاتها الاقتصادية والتجارية وفق مقاربة "الجميع رابحون" مع إفريقيا ككل ومع دول المنطقة المغاربية بصفة أخص، إذ يعتبر هدف تشكيل نظام ديمقراطي متعدد الأقطاب هدفا رئيسيا في السياسة الخارجية الصينية خاصة لفترة ما بعد الحرب الباردة ...وتسعى "إلى تشكيل نظام ديمقراطي متعدد الأقطاب، تمثل فيه الصين القوة الرئيسية في المحيط الآسيوي-الباسيفيكي"[12]. ولذا فإن الصين تعول على الدول العربية والإفريقية والمغاربية لتأييد هذا التوجه العالمي التعددي من خلال تكريس بيئة تعددية تكون العلاقة "جنوب- جنوب" إحدى مكوناتها الأساسية تجد فيها الدول النامية خير مساعد على حماية حقوقها ومصالحها. وبذلك تكون هنالك في النهاية مصلحة متبادلة بين الصين وهذه الدول في تكريس هذا التوجه العالمي الجديد.

في المقابل كان نصيب المغرب العربي من الاستثمار الصيني في إفريقيا نصيبا ذا بال. فقد كانت الصين أكثر دولة استثمرت في إفريقيا سنة 2016، "حيث بلغ حجم هذا الاستثمار 36 مليار دولار وكان المغرب من بين المستفيدين الثلاثة الرئيسيين إذ استقبل 81 مشروعا صينيا للاستثمار الأجنبي المباشر سنة 2016. أما بقية دول المغرب العربي، فقد احتلت تونس والجزائر على التوالي المرتبة التاسعة والعاشرة بثمانية عشر وسبعة عشر مشروعا استثماريا"[13]. وعموما "تقدم بكين التكنولوجيا، اليد العاملة، وقروض

---

[10] كاظم هشام نعمة، "القوة الناعمة الصينية والعرب"، **سياسات عربية**، العدد 26، ماي 2017، ص. 41.

[11] Thierry Pairault, « La chine au Maghreb : de l'esprit de Bandung à l'esprit du capitalisme », revue de *la régulation, capitalisme, institutions, pouvoirs*, volume 21 printemps, 2017, Paris, maison des sciences de l'homme, p. 99.

[12] تشن تشيماو، "الاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب: رؤية صينية"، **السياسة الداخلية**، العدد 145، جويلية 2001، ص. 60، ذكره الطيب جميلة، المصدر السابق، ص. 5.

[13] Maroc invest, « Le Maroc deuxième bénéficiaire des investissements chinois en Afrique en 2016 », 10/05/2017 http://www.huffpostmaghreb.com/2017/05/10/chine-investissements-aut_n_16533986.htlm

مفيدة لبناء البنية التحتية ولا تفرض في المقابل أي شروط سياسية مسبقة قبل أي تعاون ثنائي أو متعدد الأطراف مع دول الجنوب"[14].

ودون الدخول في تفاصيل كثيرة عن أوجه الشراكة الصينية- المغاربية يمكن القول إجمالا أن البلدان المغاربية تجد في هذه الشراكة فرصة تاريخية استراتيجية لإنجاز عديد المشاريع الكبرى وحماية مصالحها الاقتصادية واستقلالها السياسي.

2- العلاقات التونسية- الصينية:

تعود علاقة الدولة التونسية الحديثة بالصين إلى تاريخ سابق بعشرات السنين على مشروع طريق الحرير الجديد. فجمعية الصداقة الصينية التونسية مثلا قد أنشأت منذ سنة 1981 وهي أول جمعية من نوعها في بلدان المغرب العربي. إلا أن انضمام تونس إلى مبادرة "الحزام والطريق" قد تأخر إلى سنة 2018 بناء على مذكرة تفاهم مع الصين وقعت عليها تونس في شهر جويلية من تلك السنة. جاء ذلك بعد انتباه الصينيين إلى الأهمية الجيو-استراتيجية لتونس سنة 2017، فقد "رأت الصين في تونس منطلقا بحريا مهما باتجاه أوروبا...ويبدو أن الصين مهتمة بميناء بنزرت في تونس الذي يسهل الوصول إلى أوروبا ويقع في مركز هام لكابلات شبكات الألياف البصرية البحرية"[15]. بينما تعطل تنفيذ مشروع توسعة ميناء جرجيس الذي وقعته تونس مع شركة صينية عملاقة بسبب خضوع القيادة التونسية لضغوطات خارجية يرجّح أنها ضغوطات فرنسية[16].

ومع محافظة تونس عموما على نفس توجهاتها التقليدية في شراكاتها الاقتصادية، فإنها قد شاركت في الدورة الثانية من منتدى التعاون الدولي لمبادرة الحزام والطريق من 25 إلى 27 أفريل 2019 ببكين، كما تم التوقيع خلال زيارة رئيس الحكومة يوسف الشاهد إلى الصين للمشاركة في قمة منتدى التعاون الصيني الإفريقي في سبتمبر 2018 على اتفاقية لإنشاء ثلاثة مشاريع في البنية التحتية في ولاية مدنين بالجنوب التونسي، حيث تتضمن مشروعا للربط الحديدي وجسرا ومنطقة صناعية. وفي نفس السنة، أي 2018، تم تأسيس "مجلس الأعمال التونسي- الصيني"، على اعتبار أن الصين هي رابع أكبر شريك تجاري لتونس

---

[14] Mohamed Troudi, Op. Cit.

[15] عبد الستار العايدي، "العلاقات التونسية الصينية: ماذا ستستفيد تونس من مبادرة الحزام والطريق؟"، بوابة **إفريقيا الإخبارية** https://www.afrigatenews.net/opinion/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%B3%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3-%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B2%D8%A7%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82/

[16] موقع باب نات https://www.babnet.net/rttdetail-215973.asp

وثالث مصدر للسوق التونسية. وفي شهر فيفري 2019، وأثناء زيارة وزير الاستثمار والتنمية والتعاون الدولي السابق زياد العذاري إلى الصين، تم التوقيع على مشاريع استثمارية في البنية التحتية في ولايات صفاقس وبنزرت ونابل، من بينها طريق سريعة وجسور ومترو خفيف.

وفي المجال الثقافي، صادق مجلس نواب الشعب سنة 2019 على قانون أساسي يتعلق بالموافقة على الاتفاقية المبرمة بتاريخ 13 ماي 2017 بين الحكومة التونسية وحكومة جمهورية الصين الشعبية حول بعث مراكز ثقافية متبادلة في كلا البلدين. وقد أنشأ في تونس أول مركز لتعليم اللغة الصينية في جامعة قرطاج تحت اسم معهد "كونفشيوس"، وارتفع عدد الطلبة التونسيين المتحصلين على منح دراسية من الصين إلى أكثر من 500 طالب[17].

من جهة أخرى تسعى الصين لتطوير الدعم اللوجستي لتونس في مجال الصحة العامة من خلال تقديم الهبات والمساعدات (مستشفى صفاقس بالطريق الحزامية نموذجا). وخلال جائحة الكورونا قدمت الصين عديد الهبات لتونس متمثلة في لقاحات ضد فيروس كوفيد 19 ومستلزمات طبية متنوعة.

إلا أن هنالك نقدا يوجه للعلاقات التجارية الصينية- التونسية يتمثل في أن الاتفاقات التجارية بين البلدين قد تسببت في عجز تجاري لتونس قارب 5000 مليار دينار تونسي. فقد أشار الخبير الاقتصادي صادق جبنون أن "الميزان التجاري بين تونس والصين شهد تراجعا بحكم أن الصين تزود تونس بالمواد النصف مصنعة التي تحتاجها الصناعات التونسية بكلفة أقل من الكلفة الأوروبية، لكن في الوقت نفسه أدى ذلك إلى تعميق هذا العجز نظرا إلى أن تونس لا تصدر إلى الصين لأسباب لوجستية ولعدم وجود رابط مباشر"[18].

وهذه مشكلة تواجهها تونس أيضا مع تركيا، وهي معضلة هيكلية لأنها تتعلق بضعف البنية التحتية والضعف اللوجستي وارتفاع تكاليف الشحن لمسافات بعيدة بواسطة شركات نقل بحري أجنبية.

ثالثا- تقييم العلاقات الصينية المغاربية على "طريق الحرير الجديد":

في الحقيقة ما سميناه تقييما هو جملة ملاحظات سنبديها على هذه العلاقات لا ترتقي إلى درجة تقييم شامل وعميق لأن هذه المهمة تتطلب عدة شروط منهجية لا تستجيب لها هذه الورقة المختصرة جدا.

سيكون تقييمنا بهذا المعنى العام والأولي محاولة للإجابة على سؤال الورقة: **هل يمثل طريق الحرير طريقا للتنمية والتحرير؟**

---

[17] [17] عبد الستار العايدي، المرجع المذكور آنفا.

[18] المصدر السابق نفسه.

هذا السؤال يضعنا مباشرة وجها لوجه مع قضية العولمة ذات المنحى الليبيرالي المتوحش كما يضعنا أمام ملف العلاقات المغاربية الأوروبية الاقتصادية والسياسية والأمنية وأمام مسألة الهيمنة الفرنسية ذات الروح الكولونيالية على البلدان الإفريقية عامة وعلى بلدان المنطقة المغاربية خاصة. فالبلدان والشعوب الإفريقية والمغاربية التي تكابد من أجل التنمية واستكمال استقلالها الوطني المكبلَيْن (التنمية واستكمال الاستقلال الوطني) من طرف الكولونيالية والمعرقلين من طرف العولمة المتوحشة تتوق للانعتاق وتبحث عن بديل.

1- محاذير العولمة أحادية القطب:

يرتبط الاقتصادي بالثقافي في العولمة ارتباطا عضويا. وإن "المنطق الوحيد السائد لمعاني الثقافة في العولمة هو السعي إلى تكريس المركزية الثقافية الغربية والأنغلوسكسونية على وجه التحديد، في معناها وخلفيتها الاقتصادية النفعية البحتة لا غير، حيث إن الثابت الوحيد هو أن الخيارات الاقتصادية النيوليبيرالية ولدت نمطا في الاستهلاك والسلوك يريد أن يجعل منه منظرو العولمة ثقافة، وأن يرتقوا به إلى مستوى الحضارة الجديدة المتفوقة على كل الحضارات الأخرى، بتوسيع رقعة انخراط رقعة دول العالم فيها وتوسيع نفوذ رأس المال الذي يدعمها. فهي حضارة جديدة قوامها الاقتصاد لا الثقافة والإرث الإنساني، والإبداع والحرية والاختلاف"[19].

بخلاف ذلك، لا تسعى القوة الاقتصادية الصينية الصاعدة إلى فرض الكونفوشوسية على غيرها من البلدان ولا فرض أي ثقافة أو لغة عليها. ولكنها تكتفي بإتاحة إمكانية تعلم اللغة الصينية لمن يرغب في ذلك من شباب العالم. والحضارة الصينية كما الحضارة العربية الإسلامية "ليستا حضارتي صدام وصراع وتطاحن...بل هما حضارتا حوار وحكمة وسلم وتعايش"[20]. وقد سبق أن تكلمنا على اعتماد الصين على ميكانيزم الدبلوماسية الناعمة واختيارها لمقاربة براغماتية مرنة في معاملاتها وشركاتها الاقتصادية مع البلدان.

إن "طريق الحرير الجديد" يفتح آفاقا واعدة لعولمة متعددة الأقطاب ويقترح نموذجا عولميا تشاركيا مرنا وفق قاعدة "الجميع رابحون" أو قاعدة "رابح- رابح" فيساعد البلدان النامية على التغلب على صعوباتها الاقتصادية مع اطمئنان كامل على مرجعياتها الثقافية وهوياتها الوطنية.

2- حق الأفارقة والمغاربة في التحرر من الكولونياليزم الفرنسي الحقير:

---

[19] حاتم بن عثمان، **بؤس العولمة**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص. 145.

[20] المرجع السابق، ص. 140.

لقد بات الحضور الفرنسي الثقيل والمكلف في إفريقيا أمرا مزعجا وضارا للغاية بالقارة الفتية. لقد فرضت فرنسا لغتها الأم على 27 دولة إفريقية وما يعني ذلك من إلحاق ومسخ ثقافي وروحي، واشترطت على مستعمراتها القديمة أن تضمن لها البقاء مقابل استقلال شكلي.فوفقاً لاتفاق الاستقلال الذي منح 14 دولة استقلالها عام 1958، بات لباريس الحق الشرعي في التحصُّل على أي مواد خام تُكتشف هناك، واحتكار الأنشطة الأمنية والتدريب العسكري[21] والإشراف على البنوك المركزية لأربعة عشر بلدا إفريقيا (منها 12 مستعمرة فرنسية سابقة)تتداول الفرنك الإفريقي، الذي بدأ مربوطًا بالفرنك الفرنسي فترة من الزمن ليصبح الآن مربوطًا باليورو بتأطير من الخزينة الفرنسية.

إن القارة الإفريقية قارة فائقة الغنى بالطاقة والمعادن النفيسة وخيرات الأرض بأنواعها وليست بحاجة إلى هذه الأفعى الفرنسية التي تمتص دماءها الحية ونسغ حياتها طوال ما يزيد عن قرن من الزمان. وعلى القارة الإفريقية أن ترفع هامتها المنحية للمستعمر القديم القميء وأن تنهض لتعتمد على نفسها وعلى قواها الحية لبناء تنميتها ونهضتها، وأمامها فرصة تاريخية للاستعاضة عن علاقة التبعية المهينة لفرنسا بصيغ شراكة متنوعة ومعقولة كالتي تقترحها الصين على البلدان الإفريقية والمغاربية.

3- **بعض المحاذير في الشراكة الاقتصادية العربية والمغاربية مع الصين:**

لا شك في أن تفعيل الاتفاق التونسي- الصيني بناء على مذكرة التفاهم حول انضمام تونس لمبادرة "الحزام والطريق" الموقعة بين الطرفين سنة 2018، أو بصفة أشمل تفعيل آلية التعاون الصيني- الإفريقي المتمثلة في "المنتدى الصيني- الإفريقي" المؤسس سنة 2000 والذي يعاد تنشيطه ضمن "طريق الحرير الجديد"، من شأنه أن يحدث ديناميكية تنموية هامة في البلدان الإفريقية عامة وفي المغرب العربي بصفة خاصة وفي تونس بصفة أخص، إلا أن التنمية الحقيقية والتحرر الحقيقي لا يحدث بمجرد الإمضاء على ورقات تفاهم، بل يجب توفر جملة من الشروط على الأرض تكون ضمانات واقعية لتفعيل جدي وأمثل للاتفاقات الممضاة بين الطرفين. ومن بين هذه الشروط:

- ضرورة توفر ضمانات لحد أدنى من تكافؤ التبادل التجاري بين البلدان المغاربية والصين. فلو توقفنا عند الحالة التونسية فسنجد أن تونس غير مؤهلة حاليا للتعامل بندية مع الصين في المجال التجاري ولا مع أي قوة اقتصادية أخرى إقليمية أو دولية، وذلك بسبب معوقات هيكلية ولوجستية وتنظيمية. وهو مشكل يطرح بأقل حدة مع المغرب الذي "يتوفر على مجموعة من المؤهلات التي تجعله القبلة المفضلة للعديد من

---

[21] موقع الميادين نت
https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A9

المستثمرين الأجانب، تهم أساسا البنية التحتية كميناء طنجة الذي يربط بين 167 ميناء حول العالم، واستطاع أن يتجاوز سقف 3 مليون حاوية من فئة 20 قدما، ويسعى إلى تجاوز سقف 8 مليون حاوية"[22].

- فهيكليا، لا بد من إنجاز إصلاحات اقتصادية وتنموية تحقق الطفرة الإنتاجية المطلوبة في سياق سياسي ملائم.
- ولوجستيا لا بد من توفير البنية التحتية اللازمة لاستيعاب الديناميكية التنموية المأمولة.
- وتنظيميا لا بد من فرض سياسات تدبيرية حكيمة أو ما يسمى بالحوكمة الرشيدة.

لكننا لا نلحظ في صيغ الاتفاقات الصينية- المغاربية خطة متدرجة معقولة لإنجاح الإقلاع الاقتصادي والتنموي ككل في البلدان المغاربية. فقبل الدخول في اتفاقات تجارية يظهر اختلالها سريعا على حساب البلدان المغاربية، يجدر بهذه البلدان اشتراط مساعدتها على توفير الشروط اللوجستية لتبادل تجاري متكافئ. أي البنية التحتية والحلول اللوجستية.

إلى جانب ذلك لا نلحظ اهتماما لدى الصينيين بموضوع حسن التدبير ومكافحة الفساد مع شركائها، وذلك في حساب مغلوط عن التزام سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان. على عكس ما تشترطه المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. وهذا موضوع مرتبط بقضية الديمقراطية كذلك. فالفساد يعشش في البيئة الاستبدادية وأنظمة الحكم الفردي والعائلي. والأمثلة على الهدر الكارثي للثروات الوطنية بسبب الفساد الحاصل في الموانئ التجارية التونسية، وخاصة ميناء رادس، كثيرة ولا تغيب على أحد. وهذا ما يقودنا إلى الملاحظة/ المحذر الثاني:

- التنمية حرية[23] أو لا تكون: فالتنمية تشترط قبل كل شيء تنمية رأس المال البشري، و"تنمية قدرات الإنسان/ المجتمع لا تأتي قسرا، ولا تتحقق أبدا في مناخ استبدادي أو بناء على قرار سلطوي"[24]. تنتمي الصين إلى مجموعة الثقافات الآسيوية، ويوجد تعبير أو مثال آسيوي يعكس انحيازا ضد الفردية: "الخنزير الذي يبعد عن القطيع يشبع ضربا"[25]. وإذا كانت الصين ذات الثقافة الكونفوشوسية العريقة تعتمد على أخلاق الانضباط والطاعة والانشداد القوي للجماعة في تسخير رأسمالها البشري للإنتاج، فإنها تحقق بذلك بعدا واحدا من أبعاد التنمية وهو البعد المادي المتمثل في مراكمة الأرباح ولكنها لا تضمن نمو الإنسان نحو الحرية وتحقيق الذات والسعادة الشخصية ولا حتى الانتماء الاجتماعي المدني المختلف بناء على قناعات شخصية، أي ضمن تعددية مجتمعية داخلية. فهذا ما ليس معترفا به من نظام الحزب الشيوعي الصيني. فالصين بما هي دولة تطالب بالتعددية العالمية ولكن نظامها لا يعترف بالتعبيرات التعددية ويقمع المعارضين له قمعا وحشيا، وتعاني الأقلية المسلمة بتركستان الشرقية التي ضمها ماو تسي تونغ إلى الصين منذ سنة

---

[22] Thierry Pairault, « La chine au Maghreb : de l'esprit de Bandung à l'esprit du capitalisme », Op. Cit. p. 102.

[23] **التنمية حرية** عنوان كتاب من تأليف أمارتيا صن وترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد 303، مايو، 2004.

[24] من مقدمة المترجم للكتاب الآنف الذكر، ص. 9.

[25] ريتشارد إي. نيسبت، **جغرافية الفكر: كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف...ولماذا؟**، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد 312، فبراير 2005، ص. 62.

1949، المعروفة بالإيغور من الشعوب التركية منذ تسعينيات القرن العشرين من اضطهاد منظم فظيع ضدها وصل إلى حد الإبادة الجماعية الوحشية.

وفي عالمنا الإسلامي ورثنا أيضا عن نظام القبيلة وعن الأخلاق الكسراوية أخلاق الطاعة ولكن روح الإسلام الأصيلة حرية وانعتاق وجمع بين الفردية والجماعية. و"الشارع [أي المشرّع] متشوف للحرية" كما جاء لدى الأصوليين، وقد عدّ الشيخ الطاهر ابن عاشور الحرية من المقاصد العليا للشريعة. وجاءت الثورات العربية لتؤكد على هذا الطلب الجماهيري وعلى لا استثنائية العالم العربي بخصوص هذا المطلب الإنساني. لكن لا استنساخا للنموذج الديمقراطي الغربي وإنما في إطار منظومة ثقافية وقيمية مختلفة. يمكن القول إن روح الثقافة الإسلامية نوع من الجمع بين روح الالتزام الجماعي والروح الفردية التحررية. وهو ما يمنحنا شخصية حضارية مختلفة عن شخصية "النمل الآسيوي" وعن شخصية رعاة البقر الأمريكان.

فنحن هنا إزاء مفارقة محيرة: ترغب الشعوب العربية في التنمية والحرية أو في ما يسمى بالديمقراطية الاجتماعية. هذه الديمقراطية التي تفترض وجود ثروة يقع توزيعها بطريقة عادلة. ولكن الثروة لا تأتي إلا بالتنمية والتنمية تفترض تحرير الإنسان وتحرير المجتمع والشعب. فتجد هذه الشعوب أمامها عرضين مختلفين:

- عرض تنموي غربي ذي خلفية نيوليبيرالية وعولمية متوحشة بقيادة رعاة البقر الأمريكان، لا تلقي بالا لهويات الشعوب ومرجعياتها الثقافية ويتبنى في نفس الوقت منظومة الديمقراطية وحقوق الإنسان والحوكمة.

- وعرض تنموي صيني: يقدم حوافز مغرية ويتكيف مع ثقافات العالم ولا يتدخل في الشؤون الداخلية للدول لا عرقلة للديمقراطية ولا كبحا لجماح الاستبداد. ولكنه ليس بمنأى هو الآخر عن الطموح الرأسمالي العالمي في اقتطاع أجزاء من السيادة الوطنية للبلدان من خلال تأمين نسب استثمار في بعض المشاريع بها تفوق الخمسين بالمائة وحيازة مناطق تجارة وموانئ كبرى وخدمات الشحن بها حيازة كلية. وهو ما لم تسمح به الجزائر مثلا التي لها من الإمكانات الاقتصادية ما يساعدها على الحفاظ على كامل سيادتها الوطنية على أراضيها ومنشآتها.

بينما ما تحتاجه الشعوب العربية والشعوب المغاربية هو أحسن ما في العرضين معا: أي المعاملة المحترمة والعادلة في بعديها المادي والمعنوي. التنمية والحرية اللذين لا ينفصلان في ملامح الإنسان الجديد للقرن الواحد والعشرين.

فما الحل؟ الحل الذي نراه يقع في أمور ثلاثة:

- أولا: تغيير الذات بالكفاح الجماهيري من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية والسيادة الوطنية مع الاتجاه للعمل والإبداع والإنتاج.

- ثانيا: التكامل الاقتصادي المغاربي بعد تذليل العقبات السياسية وإن بالحد الأدنى في البداية. وإن أكبر عقبتين يجب على شعوب المغرب العربي اقتحامهما هي عقبة التطبيع مع الصهيونية وعقبة الاستبداد السياسي.

- ثالثا: تنويع الشراكات الاستراتيجية لبلداننا المغاربية وتبني مفهوم نظام عالمي تعددي ملائم لهذا الخيار الديبلوماسي الاقتصادي.بحيث لا تكون التعددية التي نسلّم بها مجرد تعددية تجاورية تستحوذ فيها كل قوة عالمية على قسم من العالم وثرواته ودوله، فهذه تعددية لا تحررنا من التبعية، حيث لا نختار فيها من سنكون في نصيبه من الهيمنة علينا، وإنما تعددية عميقة تفاعلية تشاركية ومفتوحة. أي فتح خطوط الاتصال والتعامل الحر في كل الاتجاهات، عدا اتجاه التطبيع مع الصهيونية، بكيفيات مقدّرة ومقادير محسوبة، مع الصينيين والأفارقة والأوروبيين والأمريكان والأتراك والإيرانيين، وفق معادلة "الكل رابحون" مع الحفاظ على السيادة الوطنية في إطار تكامل اقتصادي مغاربي، يساعدنا في ذلك أمران:

- موقعنا الجيواستراتيجي المتميز.

- وثقافتنا المعتدلة الجامعة بين الفردية والجماعية وبين التحرر والمحافظة.

لم يتجاوز سقف تحليلنا في هذه الورقة سقف الخطاب الاقتصادي السياسي السنكروني الذي لا يتعدى كثيرا الآني والمستقبل القريب، لكن رؤيتنا الدياكرونية المستقبلية رؤية حضارية أبعد مدى وأكثر عمقا وجذرية. إنها رؤية تقترح عولمة مختلفة عن العولمتين معا: العولمة ذات القطب الواحد عولمة رعاة البقر والعولمة التعددية الزائفة عولمة مربي الخنازير[26] التي تبقى في جوهرها رأسمالية كمبرادورية هي الأخرى بما أنها تسعى إلى حل مشاكلها الاقتصادية الداخلية بجعل العالم النامي كالعالم العربي وإفريقيا في حالة تبعية من خلال اعتبارهما بالأساس مصادر للطاقة والمعادن وسوقا للمواد المصنعة ونصف المصنعة وتطمع في رفع حصص استثماراتها المباشرة فيها إلى أقصى ما يمكن نيله منها للتصرف الحر في رساميلها وعائداتها. العولمة التي نتبناها ونأمل في إنشائها عولمة ذات بعد عالمي إنساني حقيقي ذات روحانية خُلُقية شهودية تعارفية لا يتنافى فيها الدنيوي والأخروي تنافيا فصاميا.

---

[26] انظر تحليلات أبي يعرب المرزوقي في كتابه **آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة**، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1999، المقالة الأولى، ص. ص. 115- 149.

المراجع

- تشيماو، تشن، "الاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب: رؤية صينية"، **السياسة الداخلية**، العدد 145، جويلية 2001، ص. 60، ذكره الطيب جميلة في **العلاقات الصينية المغاربية بعد الحرب الباردة: العلاقات الصينية الجزائرية نموذجا**، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس، العدد الأول، ISSN: 2353- 0294, EISNN: 2600- 6480، 13، 06، 2018.

- طيب، جميلة، **العلاقات الصينية المغاربية بعد الحرب الباردة: العلاقات الصينية الجزائرية نموذجا**، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس، العدد الأول، ISSN: 2353- 0294, EISNN: 2600- 6480، 13، 06، 2018.

- بن عثمان، حاتم، **بؤس العولمة**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

- صن، أمارتيا، **التنمية حرية**، وترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد 303، مايو، 2004.

- المرزوقي، أبو يعرب، **آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة**، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1999.

- نيسبت، ريتشارد إي، **جغرافية الفكر: كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف...ولماذا؟**، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد 312، فبراير 2005.

- هشام نعمة، كاظم، "القوة الناعمة الصينية والعرب"، **سياسات عربية**، العدد 26، ماي 2017.

Pairault,T., « La chine au Maghreb : de l'esprit de Bandung à l'esprit du capitalisme », revue de *la régulation, capitalisme, institutions, pouvoirs*, volume 21 printemps, 2017, Paris, maison des sciences de l'homme.

الروابط الإلكترونية:

- باب نات https://www.babnet.net/rttdetail-215973.asp

- الجزيرة

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia-economy/2015/6/29/%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B4%D8%A7%D9%84

- الجزيرة

https://www.aljazeera.net/ebusiness/2019/4/27/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-%D8%B7%D8%B1%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D8%A9

- عربي بوست: لماذا أخذت دول العالم الإسلامي في الجنوح نحو الصين أكثر والابتعاد عن تحالفها التقليدي مع أمريكا؟ على موقع:

https://arabicpost.net/%d8%aa%d8%ad%d9%84%d9%8a%d9%84%d8%a7%d8%aa/2022/04/02/%d8%af%d9%88%d9%84-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%a7%d9%84%d9%85-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d9%84%d8%a7%d9%85%d9%8a-/%d8%a7%d9%84%d8%b5%d9%8a%d9%86

- العايدي، عبد الستار ، "العلاقات التونسية الصينية: ماذا ستستفيد تونس من مبادرة الحزام والطريق؟"، بوابة **إفريقيا الإخبارية**

https://www.afrigatenews.net/opinion/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%B3%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%81%D9%8A%D8%AF-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3-%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B2%D8%A7%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82/

- الميادين نت

https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A9

- اليونسكو: https://ar.unesco.org/silkroad/lmht-n-trq-alhryr

- Annuaire statistique de la chine, 2017, http://www.stats.gov.cut/tjsj/ndj

- Maroc invest, « Le Maroc deuxième bénéficiaire des investissements chinois en Afrique en 2016 », 10/05/2017

http://www.huffpostmaghreb.com/2017/05/10/chine-investissements-aut_n_16533986.htlm

- Troudi, M., http://www.politique-actu.com/dossier/strategie-arabe-chine-mohamed-troudi-chercheur/364302/

الداعيات الجيوستراتيجية للإنتقال الطاقي،

د. منجي مرزوق

ملخص

التغيّر المناخي والأزمات المتتالية في قطاع الطاقة، دفعت العديد من الدول الى مراجعة سياساتها الطاقية بغاية تعزيز أمنها الطاقي وحماية الإقتصاد والمقدرة الشرائية والحدّ من تاثيرات التغيّر المناخي على مقومات الحياة على الكرة الارضية وعلاقته بالأمن الغذائي والمائي.

هذه المراجعات للسياسات الطاقية تندرج في إطار العمل المتنامي على تحقيق إنتقال طاقي مؤمّن وميسّر ومُستدام نظيف ومتجدد (Secure, affordable and sustainable) ويرتكز على عدة محاور أساسية أهمها:

- توسيع إستعمال الطاقات المتجددة النظيفة (الشمس والريح)، ولذلك انعكاسات عميقة وواسعة على المنظومة الطاقية وذلك للطبيعة المتغيرة للطاقات المتجددة وتوزيعها الجغرافي والمعادن الحيوية التي تستعمل في تكنولوجيات الطاقات المتجددة.
- تطوير الكفاءة الطاقية (وأيضا الرصانة والاعتدال في استهلاك الطاقة (energy sobriety) وتقليص الارتباط بين النمو الاقتصادي واستهلاك الطاقة (انتاجية الطاقة).
- توسيع موارد الطاقة اللامركزية من انتاج وخزن وكفاءة طاقية وتحكم في الطلب.
- توسيع استعمال الكهرباء وبناء شبكات واسواق اقليمية كبيرة وتوسيع الاعتماد على الكهرباء (حاليا حصة الكهرباء من الاستهلاك النهائي العالمي للطاقة حوالي 21%) خاصة في قطاع النقل والصناعة. بهدف توسيع استعمال الطاقات المتجددة النظيفة وتعزيز الكفاءة الطاقية.
- رقمنة قطاع الطاقة وجعل المنظومة الكهربائية في قلب المنظومة الطاقية، والاستفادة من التكنولوجيات الرقمية من منصات رقمية، وبيانات رقمية طاقية ضخمة وربط منظومة الكهرباء والطاقة بشبكة اتصالية

متطورة تمكن من المضي بعيدا في الكفاءة الطاقية وفي ادراج واسع للطاقات المتجددة المتغيرة، وحسن ادارة العرض والطلب بين مصادر الطاقة وقطاعات الاستهلاك.

مزيج الاستهلاك النهائي للطاقة وما يتطلب من موارد طاقية اوّلية (تقليدية، ومتجددة ونووية) محدد قوي في رسم السياسة الطاقية على المدى القريب والمتوسط ونقطة البداية لتطوير هذا المزيج حسب الأهداف من طاقة مؤمّنة وميسّرة ومستدامة (نظيفة ومتجددة).

بلغة الارقام وعلى مستوى عالمي مزيج الاستهلاك النهائي للطاقة في 2019 يتكون من 36% من النفط، 21% من الكهرباء 15% من الغاز الطبيعي، 13% من الفحم الحجري، 6% من الكتل الحية التقليدية، و5% من الكتل الحية الحديثة، وغيرها.

مثلا سيناريو التغيّر المناخي بمعدّل 1,5 درجة حرارة يهدف لسنة 2030 الى مزيج للاستهلاك النهائي يتكون من 30% كهرباء، 30% من النفط، 12% من الكتل الحيّة، 9% من الغاز الطبيعي، 8% من الفحم الحجري، 3% من الهيدروجين ، وغيرها.

ولتصبح في أفق 2050 : 51% من الكهرباء (90% منه من الطاقات المتجددة)، 18% من الكتل الحيّة الحديثة، 12% من هيدروجين، 9% طاقات متجددة اخرى، 4% من النفط، 4% من الغاز و 2% من الفحم الحجري.

هذه التغيرات العميقة تعطي بعض الاضاءات على الملامح والخطوط العريضة لسياسات الطاقة لدول كبرى مثل الصين (البرامج العملاقة للطاقات المتجددة في التكنولوجيا والتصنيع والاستعمال، الشبكة العالمية للكهرباء) والولايات المتحدة (مراجعة كبيرة وطموحة لسياستها الطاقية نحو الطاقات النظيفة والمتجددة، ودعم موارد الطاقة اللامركزية، وتطوير شبكة الكهرباء)، والاتحاد الاوروبي (شبكة اوروبية مندمجة توسيع التعاون الى دول الجوار، ضرائب الكربون على الحدود الاوروبية، سياسة الهيدروجين). وستُحدث تحولات كبيرة في أسواق الطاقة العالمية والشبكات والبنى الاساسية، ومراكز التبادل الدولي لموارد الطاقة الحديثة من كهرباء، وهيدروجين، ونفط وغاز.

.....

ملحق: الطاقة في أرقام

- احتياطي النفط (2020): 49% الشرق الاوسط، 19% امريكا اللاتينية ، 13% امريكا الشمالية
- احتياطي الغاز (2020): 38% الشرق الاوسط، 36% روسيا واسيا الوسطى،
- الاستثمار في الانتقال الطاقي (2021): 755 مليار دولار (الطاقات المتجددة 366 مليار دولار، النقل الكهربائي 273 مليار دولار) : الصين 266 مليار دولار، الولايات المتحدة 114 مليار دولار، المانيا 47 مليار دولار،

- الحصة من انتاج الكهرباء الشمسية (2019): 57% اسيا والمحيط الهادىء، 22% اوروبا، 14% امريكا الشمالية.

- موارد الطاقة الشمسية الكبرى والهيدروجين الاخضر: افريقيا، الشرق الاوسط، امريكا، استراليا، جنوب اسيا، جنوب اوروبا، ...

- الحصة من انتاج الكهرباء من طاقة الرياح (2019) : 36% اسيا والمحيط الهادىء ، 33% اوروبا، 23% امريكا الشمالية.

- استخراج المعادن الحيوية (2022): النحاس (الشيلي، البيرو، الصين)، النيكل (اندونيسيا، الفيليبين، روسيا)، كوبالط (جمهورية الكنغو الديمقراطية، استراليا، روسيا)، المواد الارضية النادرة (الصين، الولايات المتحدة، ميانمار)، ليثيوم (استراليا ،الشيلي، الصين).

- المعالجة الصناعية للمعادن الحيوية (2022) (حضور طاغي للصين): النحاس (الصين، الشيلي، اليابان)، النيكل (الصين اندونسيا ، اليابان)، كوبالط (الصين، فنلندا، النرويج)، المواد الارضية النادرة (الصين، ماليزيا، استونيا)، ليثيوم (الصين، الشيلي، الارجنتين)

السياسة الامريكية تجاه المنطقة العربية
في ظل إدارة بايدن

د. عصام عبد الشافي

أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية

رئيس أكاديمية العلاقات الدولية، تركيا

ملخص

في يناير 2021، تولي الرئيس الأميركي جو بايدن مقاليد الحكم في الولايات المتحدة الأميركية، ليكون الرئيس رقم 46 ضمن قائمة الرؤساء الأميركيين، وأثناء الحملة الانتخابية، وأثناء الحملة الانتخابية، عبَّر عن عدد من المواقف تجاه عدد من النظم السياسية في المنطقة العربية، وكذلك تجاه عدد من ملفات منطقة الشرق الأوسط، بتصورات مغايرة لما كان عليه سلفه الجمهوري دونالد ترامب.

وارتبط بايدن في عدد من توجهاته بطبيعة المتغيرات الدولية (مثل تداعيات جائحة كورونا، وتوتر الأوضاع في شرق أوربا، على الحدود الروسية ـ الأوكرانية، والتمدد الروسي، والصعود الصيني)، والإقليمية في الشرق الأوسط (أزمة حصار قطر، تطورات الأزمات السورية، الليبية، اليمنية، الملف النووي الإيراني، صفقة القرن الترامبية).

وأمام مركزية المواجهة الأميركية ـ الروسية، من ناحية، والأميركية ـ الصينية، تبنت إدارة بايدن عدداً من الأطر تجاه المنطقة العربية، شملت: تسكين الصراعات، تطبيع العلاقات، بجانب ما يمكن تسميته "ترويض الجامحين"، وفي سياق هذه الأطر تعددت السياسات الأميركية، الساعية نحو إعادة الانتشار العسكري، في المنطقة، أمام تعاظم الخطر الروسي على المصالح الاستراتيجية، الغربية عامة والأميركية خاصة في المنطقة.

وفي إطار هذه الاعتبارات تأتي هذه المداخلة لبيان: محددات وأبعاد السياسة الأميركية في ظل إدارة بايدن تجاه المنطقة العربية، وطبيعة الأدوات التي اعتمدت عليها لتحقيق أهدافها وتأمين وتعزيز مصالحها الاستراتيجية.

نظرية الفوضى الخلاقة ونشأة "الشرق الأوسط الكبير": جدلية الديني والسياسي في الفكر الاستراتيجي الأمريكي.

د. عمر عبد اللاوي

ملخص

مع وصول آل بوش إلى الحكم أعيدت صياغة الاستراتيجيات المتبعة من طرف الإدارة الأمريكية خاصة في مجال السياسات الخارجية في العالم الإسلامي والتي انتهت إلى رسم معالم فضاء جيو-استراتيجي جديد (الشرق الأوسط الكبير). لقد تم استبدال التسميات الجيو-سياسية: العالم العربي والشرق الأوسط بالشرق الأوسط الكبير الذي يضم، بالإضافة للدول العربية، كل من تركيا وأفغانستان وباكستان وإيران وإسرائيل. كما اقترن وصول بوش الابن للسلطة في الولايات المتحدة بصعود اليمين المسيحي (الإنجيليين) للسلطة والتحكم في مراكز القرار. وتستبطن هذه الطائفة الدينية عقائد مستمدة من نبوءات العهد الجديد مثل عقيدة انتشار الخراب والفوضى في كل مدن الشرق قبل قدوم المسيح المخلّص.

العرب والمسلمون في ظل الحرب الروسية الأكرانية

. وجهة نظر حضارية .

د. محمّد الفاضل اللاّفي

ملخص

هل تُعتبر الحرب الرّوسية الأكرانية إيذانا بتحوّل جذري في نسيج التحالفات الدّولية على أسس حضاريّة؟

كانت أكرانيا بين عامي 1923 - 1991م إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي باسم جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية، وعاصمتها مدينة كييف، أكبر مدنها.حتّى استقلّت عن المنظومة الرّوسية بتلاشي الاتّحاد السوفييتي سنة 1991م، وقد شهدت منذ أوائل 2014م أزمة سياسية خاصّة اجتياح القوّات المسلحة الروسية شبه جزيرة القرم وبسط نفوذها عليها، ثمّ ضمّها إلى روسيا الاتحادية بعد استفتاء صوريّ، والذي اعتبرته أوكرانيا والمجتمع الدّولي عموما - ونعني به الكاثوليكي بدعم بروتستانتي في لُبوس سياسي - احتلالا عسكريًا وتعديًا على سيادة أوكرانيا ووحدة أراضيها.

غير أنّ الأزمة الحقيقيّة بقدر ما هي سياسيّة وأمنيّة فإنّ جوهرها في تصوّرنا دينيّ خاصّة مع إحياء النّزعة البروتستانتية وحرص الرّئيس الرّوسي القومي النّزعة فلاديمير بوتين على تأكيدها من خلال الحضور الرّسمي والأكثر إثارة لرأس الكنيسة الشرقيّة الرّوسية إلى جانبه في المحافل والاجتماعات الرّسمية.

وهل اللّقاء التّاريخي الذي جمع يوم الجمعة 12 فيفري 2016 في هافانا عاصمة كوبا بين بابا الفاتيكان فرنسيس ورئيس الكنيسة الروسية كيريل بعد قطيعة دامت أكثر من ألف سنة، إعلانا لمسار جديد في العلاقات الروسية الغربيّة.

وهل عمليّة الاحياء الإسلامي الجديد في بلاد البلقان وشبه جزيرة القِرم بالذّات وتجدّد الحضور العربي في تلك البلاد وتوجّهه نحو النّشاط المؤسّسي والاستقرار الاجتماعي استعداد لدور حضاري وتموقع في الخارطة السياسيّة والاقتصادية والمالية لأكرانيا لما بعد الحرب الرّوسية.

تعقيب: العرب والمسلمون في ظل الحرب الروسية الأكرانية

. وجهة نظر حضارية .

د. محمّد الفاضل اللاّفي

هل تُعتبر الحرب الرّوسية الأكرانية إيذانا بتحوّل جذري في نسيج التحالفات الدّولية على أسس حضاريّة؟

كانت أوكرانيا بين عامي 1923 - 1991م إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي باسم جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية، وعاصمتها مدينة كييف، أكبر مدنها.حتّى استقلّت عن المنظومة الرّوسية بتلاشي الاتّحاد السوفييتي سنة 1991م، وقد شهدت منذ أوائل 2014م أزمة سياسية خاصّة اجتياح القوّات المسلحة الروسية شبه جزيرة القرم وبسط نفوذها عليها، ثمّ ضمّها إلى روسيا الاتحادية بعد استفتاء صوريّ، والذي اعتبرته أوكرانيا والمجتمع الدّولي عموما - ونعني به الكاثوليكي بدعم بروتستانتي في لُبوس سياسي - احتلالا عسكريًا وتعديًا على سيادة أوكرانيا ووحدة أراضيها.

غير أنّ الأزمة الحقيقيّة بقدر ما هي سياسيّة وأمنيّة فإنّ جوهرها في تصوّرنا دينيّ خاصّة مع إحياء النّزعة الأورثوذوكسية وحرص الرّئيس الرّوسي، قومي النّزعة، فلاديمير بوتين على تأكيدها من خلال الحضور الرّسمي والأكثر إثارة لرأس الكنيسة الشرقيّة الرّوسية إلى جانبه في المحافل والاجتماعات الرّسمية.

وهل اللّقاء التّاريخي الذي جمع يوم الجمعة 12 فيفري 2016 في هافانا عاصمة كوبا بين بابا الفاتيكان فرنسيس ورئيس الكنيسة الروسية كيريل بعد قطيعة دامت أكثر من ألف سنة، إعلانا لمسار جديد في العلاقات الروسية الغربيّة.

وهل عمليّة الإحياء الإسلامي الجديد في بلاد البلقان وشبه جزيرة القِرم بالذّات وتجدّد الحضور العربي في تلك البلاد وتوجّهه نحو النّشاط المؤسّسي والاستقرار الاجتماعي استعداد لدور حضاري، وتموقع في الخارطة السياسيّة والاقتصادية والمالية لأوكرانيا ما بعد الحرب الرّوسية.

تكشف الحرب عن المستور في الصّراع الدّولي المحموم والتنافس على قسمة العالم من جديد، ولكن يبدو أنّه العالم المؤثّر اقتصاديا وموقعا جغرافيا والأكثر حساسيّة حضارية. ما نقصده من كلّ ذلك، هو وجود تنافس صامت بين ثلاثة أقطاب وجهة فاعلة؛فالأقطاب الثّلاثة هي؛ الولايات المتّحدة الأمريكية وروسيا والصّين، أمّا الجهة الفاعلة والقوّة الصّاعدة فهي تركيا، وسعيها الهادئ نحو بناء جيب تركي عرقا يضمّ؛ كزاخستان، أوزبكستان، قيرغيزيا، أذربيجان، تركمنستان، الممتدّة في آسيا الدّاخلية، والمتجانسة دينيّا؛ الإسلام، رغم الاختلافات المذهبيّة؛ سنّة وشيعة. وتبرز أهميّة هذه الجهة الفاعلة في عملها طويل الأمد لاستيعاب العالم العربي على أسس حضارية واقتصادية وضمان الأمن القومي المشترك خاصّة العسكري، رغم التباين السياسي (التناقضات السياسية بين تركيا وبعض الدول الخليجية)، فهو حزام عريض يمتدّ من أراضي آسيا الدّاخلية نحو البلقان والقِرم والخليج العربي وشمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، يتقابل ويتقاطع من مشروع الحزام والطّريق كما صاغه شي جين بينغ وافتتحه رسميا الجمعة 26 أفريل 2019 بمشاركة ممثلين عن 150 دولة.

الحزام والطّ ريق مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير القديم، ويهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية، ويشمل ذلك بناء مرافئ وطرقات وسككا حديدية ومناطق صناعية. غير أنّ الخارطة العربية حاضرة وبقوّة هذه المرّة. وتعتبر سياسة الإصلاح والانفتاح التي قدّمها الرّئيس شين جين بينغ في كتابه أفكار حول تعميق الإصلاح ركيزة ذلك.

في تصوّرنا أنّ المشاريع المتنافسة؛ المشروع الرّوسي المتعلّق أساسا بالبترول والغاز والتصنيع العسكري، والمشروع الصيني الحزام والطريق والمشروع التركي الرّابط بين وسط آسيا والممتدّ نحو أفريقيا باتّجاهيها وبلدان الخليج، كلّها متناقضة أمنيا (بالمفهوم الواسع) وسياسيا مع المشروع الأورو ـ أمريكي والذي تعتبر أوكرانيا رأس الحربة فيه، لاعتبارات:

ـ الخطّ الأمني الفاصل بين أوروبا وروسيا، باعتبارها جزءا من الاتّحاد السوفييتي قديما.

ـ بوّابة أوروبا العسكرية والأمنية نحو روسيا الجديدة.

ـ سلّة غذائيّة استراتيجية لا غنى عنها لأوروبا باعتبارها توفّر أكثر من 25 بالمائة من احتياجات العالم وخاصّة العالم العربي وأفريقيا من القمح والشعير والذرة...

ـ مصدّر مهم للطّاقة وكذلك معبر استراتيجي للغاز الرّوسي نحو أوروبا.

ـ تحتل المساحات الزراعية أكثر من ثلثي مساحة أوكرانيا، وتبلغ صادراتها من الذرة أكثر من 4.8 مليار دولار، وزيت زهرة الشمس 3.8 مليار دولار، والقمح 3.11 مليار دولار، أي ما مجموعه 11.7 مليار دولار. ولم تلقّب أوكرانيا بسلّة خبز أوروبا عبثاً، فعلى المستوى العالمي، تشكل 12% من إنتاج القمح، و16% من إنتاج الذرة،

و18% من إنتاج الشعير. وتعّد روسيا والصين وألمانيا وبولندا وإيطاليا أبرز الشركاء التجاريين لأوكرانيا، وللعديد من الدول العربية تبادل تجاري مع أوكرانيا، فقرابة 12% من صادراتها تذهب لهذه الدول.

ولأوكرانيا تبادل تجاري مع 18 دولة عربية بلغت قيمته نحو 6.3 مليار دولار في عام 2020، وتشكل الواردات من أوكرانيا ما نسبته 92% من هذا التبادل، بينما لا تزيد الصادرات العربية لأوكرانيا على 450 مليون دولار. وتعد مصر والسعودية والعراق والإمارات والمغرب وتونس أبرز الدول ذات التبادل التجاري معها بمجموع 4.5 مليار دولار لهذه الدول الست. وتحتل مصر الدولة الأولى في الواردات الأوكرانية بأكثر من 1.6 مليار دولار ثلثيها من الذرة والقمح. وتأتي السعودية في المرتبة الثانية في الشراكات التجارية العربية الأوكرانية مستوردة ما قيمته 709 مليون دولار من أوكرانيا معظمها من اللحوم والشعير والمعادن.

اتّجهت منذ 2016 العديد من الشركات ومصانع التحويل الغذائي والأدوية العربية نحو التمركز في أوكرانيا لخصوبة أراضيها وانفتاحها الاقتصادي إلى جانب الشراكات في تلك المجالات. غير أنّ ذلك الاتّجاه الجديد نحو تدارك الخسائر الفادحة للشركات الخليجية في السودان وسوريا والصّومال واليمن سيلقي بظلاله على موقع الحضور العربي والإسلامي في أوكرانيا.

كيف ذلك؟

الدّين السائد في أوكرانيا هو المسيحية الأرثوذكسية الشرقية وفقًا لدراسة قام بها مركز رازومكوف عام 2018، حوالي 87.4% من سكان أوكرانيا مسيحيين. وتأتي الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في مقدمة الطوائف المسيحية مع حوالي 67.3% من مجمل السكان، ويشكل أتباع الكنيسة الأوكرانية الكاثوليكية حوالي 9.4%، يليهم كل من البروتستانت مع حوالي 2.2 %والرومان الكاثوليك مع حوالي 0.8.%. إلى جانب هوامش صغيرة لمختلف الانتماءات المسيحية المتبقّية.

يبلغ عدد المسلمين في أوكرانيا نصف مليون، حوالي نصفهم من تتار القرم، منهم حوالي 50,000 يعيشون في كييف، معظمهم من المولودين في الخارج، علما وأنّ عددا كبيرا منهم من أصول عثمانيّة. أمّا الجالية اليهودية فتمثّل جزءا صغيرا ويشير تعداد عام 2001 إلى وجود 103,600 يهودي في أوكرانيا، ولليهودية الأرثوذكسية وجود قوي في أوكرانيا خاصّة أوديسيا موطن اليهود اللوبافيتش الحسيديم ذات التوجّه الصوفي.

إنّ ذلك التنوّع الدّيني، وما قابله من اصطفاف الكنيسة الأورثوذوكسية الروسية إلى جانب الغزو الرّوسي لأوكرانيا، وإمكانية فرض عقوبات على رأس الكنيسة كيريل، سيفتح المجال واسعا أمام تلك الانتماءات الدينية لتحدّد مواقعها المستقبلية في جغرافيا السياسة وأنثروبولوجيا الأديان بأوكرانيا، على النّحو التّالي:

- الانفصال النهائي بين الكنيستين الروسية والأكرانية (الأورثوذوكسية)،

- تقارب بين الكنيسة الأكرانية الأورثوذكسية والكنيسة البابوية الكاثوليكية،

ـ إعادة تموقع للكنيسة البروتستانتية خاصّة للمواقف البريطانية والأمريكية الدّاعمة لأكرانية،

ـ حصول التواجد اليهودي الضعيف بأوكرانيا على دعم سياسي ومالي إضافي للدعم "الإسرائيلي" لأوكرانيا ضد الغزو الرّوسي،

ـ مزيدا من الامتيازات للمسلمين الأكرانيين وأكثر مرونة مع المؤسّسات الدينية الدعوية والإغاثية الإسلامية، وربّما ارتفاع عدد المنح المخصّصة للطلاّب العرب والمسلمين الوافدين وتيسير الإقامة لأغراض متعدّدة خاصّة بغاية التجارة والاستثمار، كما حصل ربّما مع البوسنة ما بعد الحرب.

وبناء عليه، من المتوقّع أن يصبح الوجود العربي الإسلامي أكثر فاعلية، وأقلّ تعقيدا، ممّا سيسهم في تغيّر البنية الاجتماعية الأوكرانية خلال ثلاث عقود من الآن، وهو ما حصل فعلا في البوسنة وألبانيا منذ سنة 1995م، وأصبحت آثاره واضحة في بلجيكا وفرنسا وإسبانيا، خاصّة وأنّ أوكرانيا ما بعد الغزو الرّوسي بدأت رحلة البحث عن هويّة جديدة لن تتّضع معالمها إلاّ بعد عقود كما أسلفنا.

ولعلّ المشروع الصيني الجديد يثبت هذا التحليل، من خلال سعيه المحموم للهيمنة على السّوق العربية والإسلامية وقبوله بخصوصياته الحضارية، واتّباعه في ذلك سياسة إعلامية مدروسة من خلال قناته الفضائيّة CGTN متجاوزة الفضائية الرّوسية RT Arabic على مستوَيَيْ البرمجة والخطاب.